

الفضاء الديني وتأثيره على الفرد:

مقاربة سوسيولوجية للبعد العمراني للمسجد في الجزائر

Religious space and its impact on the individual :

A sociological approach to the urban dimension of the mosque in Algeria

أحمد مسعودي^{1*} ، طا. با. حسام الدين شعلان²

¹ جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، mes.ahmed@gmail.com

² جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، chalanehoussameddine@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/03/09 تاريخ القبول: 2022/04/27 تاريخ النشر: 2022/05/05

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على أحد المقومات الأساسية لمؤسسة المسجد، حيث يلعب هذا الأخير دورا هاما في حياة الأفراد، إذ يعد مؤسسة دينية للتنشئة الاجتماعية وفضاء للتوعية والتوجيه والإرشاد، وتقويم الأفراد على الأسس والمفاهيم الصحيحة للدين؛ فتحقيق الاندماج والترابط الاجتماعي بين كافة أفراد المجتمع لا يكون إلا بتفعيل دور المسجد داخل المجتمع من خلال حسن الخطابات الدينية وحسن اختيار موقعه الجغرافي والاهتمام به من الناحية المعمارية لضمان أداء الدور الدعوي وجذب أكبر عدد من الناس إلى هذا الفضاء الديني العام، والوصول للتنمية الاجتماعية والثقافية في بناء المجتمع. كما يحاول المقال الوقوف على أهم الممارسات الأنثروبولوجية التي تؤطر الحياة الدينية للأفراد بالاعتماد على الأهداف التي يوفرها البعد العمراني للمسجد وكذا أهمية التصميم المعمارية والمخططات الهندسية لمؤسسة المسجد.

كلمات مفتاحية: الفضاء العام، الرموز الدينية للمسجد، التغيير الاجتماعي، الممارسات الدينية للفرد.

Abstract:

This article aims to shed light on one of the basic components of the mosque institution, as the latter plays an important role in the lives of individuals, as it is a religious institution for social upbringing and a space for awareness, a guidance, and an evaluation of individuals with the correct foundations and concepts of the religion; Achieving the integration and social cohesion between all members of the society can only be achieved by activating the role of the mosque within the community through good religious discourse, good selection of its geographical location, and attention to it from an architectural point of a view to ensure the performance of the advocacy role to attract the largest number of people to this public religious space, and access to social and cultural development in building the society.

The article also attempts to identify the most important anthropological practices that frame the religious life of individuals, depending on the objectives provided by the urban dimension of the mosque, as well as the importance of architectural designs and engineering plans for the mosque institution.

Keywords: Public space; religious symbols of the mosque; social change; religious rituals for the individual.

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

لقد شهدت المدينة الجزائرية تغيرات اجتماعية وثقافية عديدة عبر المراحل التاريخية التي مرت بها، أثرت في مدى تمسك المجتمع الجزائري بمقوماته الأصلية التي تدعو إلى التضامن والتعاون والأمن والتطور والرفق، وهذا لا يكون إلا في تمسك المجتمع أفرادا وجماعات بمقومات دينهم التي تعمل المؤسسة الدينية (المسجد) على توجيهه وإرشاده وتقويمه على أسس من المفاهيم الصحيحة للدين.

وعليه تظهر أهمية المسجد من خلال معرفة النشأة الأولى للمساجد ودورها التاريخي المتميز موازنة مع دوره في الوقت الحاضر، وقدرته على حل المشكلات الاجتماعية، فضلاً عن دوره في تحقيق الاندماج والتكامل والترابط الاجتماعي بين كافة أفراد المجتمع، ويعد من المؤسسات الاجتماعية التي تسهم بصورة مباشرة في تعزيز وحدة المجتمع وتضامنه، من خلال ما يقدمه المسجد وما يبثه من روح المسؤولية الجماعية وترسيخه للقيم الإسلامية الفاضلة ومحاربته للقيم السلبية في المجتمع (رمضان، 2013، ص.03).

ومنذ ظهور الدين الإسلامي، بدأ المسجد يلعب دوره الحيوي والفعال في حياة الأفراد المسلمين، وصار يمثل لهم مكانا للصلاة والقضاء والعلم والتكافل الاجتماعي والاجتماعات وغيره، ويعود هذا إلى ملائمة التصميم والتخطيط الحضري للمسجد ضمن البيئة العمرانية التي يحتلها فالتركيب العمراني داخل النسيج الحضري خاضع في عمومته إلى المبدأ العمراني الشامل المتمثل في مبدأ التواصل العمراني، ومن ثم نجد أن الإسقاط العمراني داخل المدينة هو انعكاس لمقومات الفرد على أرضية الواقع.

وقد اكتسب المسجد أهمية كبرى في تمييز الحياة لدى الأفراد المسلمين، فتفننوا في عمارتها وزخرفتها حتى اتضحت المعالم الرئيسية في دراسة العمارة والعمران لدى الشعوب والحقب الإسلامية المتعاقبة، إضافة إلى كون المسجد وحدة معمارية مميزة فإنه يمتلك خاصية هيكلية النسيج العمراني، وهذا نظرا لقيمته العقارية المستمدة من قيمته العقائدية والتي نلمسها في فضل البيوت والمساكن القريبة منه، حيث يشكل لوحده قطب اجتذاب له تأثير مباشر على حركة السير داخل النسيج العمراني. فإلى جانب وظيفته الرئيسية والمتمثلة في العبادة فإن المسجد في الصدر الأول للإسلام كان متعدد الوظائف والمهام كالحكم والقضاء والتعليم وتجميع الغنائم والأموال وتوزيعها، مما أهله إلى تشكيل قطب اجتذاب، لذا تعددت منافذه ومخارجه، وبالتالي

تعددت الطرقات المؤدية منه وإليه، ليكون التأثير في ديناميكية المدينة أو القرية بصفة متواصلة ومستمرة (إسماعيل، 2016، ص.60).

كما تتضح أهمية الموضوع في دراسة تأثير الجانب العمراني في طريقة بناء المساجد على تواجد الفرد من جهة، ومدى أهمية انجذاب الأفراد إلى الفضاء الديني من جهة أخرى، نظرا لتأثر عمارتها بالجانب الروحي والحسي للإسلام، "وللمساجد أيضا دورها الفعال في إحداث التغييرات الفكرية والسلوكية على أفراد المجتمع، وبالتالي يمكن أن يؤدي ذلك إلى تحقيق تضامن المجتمع وتماسكه وتوافقه واندماجه بين كافة مكوناته وأطيافه الاجتماعية، وتقليل حالة الاحتقان الاجتماعي والسياسي بين أفراد المجتمع" (موقع العرب، 2020).

كما تسعى الدراسة لمحاولة الكشف عن أسباب تواجد الفرد في الفضاء الديني وواقع المؤسسة الدينية "المسجد" في الجزائر وتأثير هذا الأخير فيه، وإبراز دور المساجد في التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في بناء المجتمع وتحقيق الأهداف، وفهم مدى تأثير الجانب العمراني في طريقة بنائها على تواجد الفرد، والوقوف على واقع العلاقة بين المسجد والمجتمع (رشيد، 2015 / 2016).

تأسيسا على ما سبق، إرتأينا طرح جملة التساؤلات التالية:

ما المقصود بالمسجد كفضاء عام؟ وكيف يؤثر المسجد في الوسط الحضري؟ وكيفية تواجد الفرد في المؤسسة الدينية؟ وكيفية تأثير الجانب العمراني المرتبط بالمسجد على الفرد؟
كل هذه التساؤلات، أدت بنا إلى طرح الإشكالية التالية:
هل يؤثر الجانب العمراني من حيث طريقة بناء المسجد على واقع تواجد الفرد داخله بمختلف أشكاله؟

1. سيرورة تشكل الفضاء الديني :

حاولت الكثير من الدراسات الوقوف على البعد العمراني لفضاء المسجد بغية إيجاد أرضية نظرية تشرح الممارسات الاجتماعية للأفراد اتجاه المسجد كفضاء ديني، من بينها ما يلي:
1.1. الدراسة الأولى: الميدان الحضري والقيمة العمرانية للمسجد الجامع في المدينة الإسلامية وهي دراسة لعبد الرحمان محمد غدي العابد (Mohamed & Abed, 2011).

تبحث هذه الدراسة في طبيعة العلاقة بين المسجد والميدان الحضري المرتبط به لإكتشاف الدور الفعال الذي يشكله الميدان في إعطاء المسجد قيمته العمرانية بل والوظيفية في النسيج

العمراني الخاص بالمدينة، ومن أجل معالجة الإشكالية السابقة وضعت الدراسة فرضية أن المسجد لا يمكنه تفعيل دوره من خلال وجوده الوظيفي والمصلحي فقط وإنما لا بد له من التكامل مع الميدان الحضري المرتبط به، ومن بين النتائج التي جاءت بها هذه الدراسة: العلاقة بين المسجد والميدان الحضري لا تعتمد فقط على التشكيل الفراغي المادي للعلاقة بين الكتلة والفراغ في مركز المدينة (على أهمية هذه العلاقة) ولكنها تعتمد كذلك على الحيوية الوظيفية للميدان والمكاملة لوظيفة المسجد والداعمة لها.

تبرز العلاقة بين المسجد والميدان الحضري بشكل كبير بواسطة المباني والوظائف الحضرية المحيطة بهما كالمباني العامة والحكومية، وهذا يزيد من القيمة الرمزية والمعنوية وكذلك الوظيفية لمركز المدينة، والميدان والمسجد.

على الرغم من أن النماذج الأولى للمدن الإسلامية شهدت محاولات واعية لتشكيل مركز المدينة بواسطة المسجد والميدان والمباني العامة والحكومية المرتبطة به، إلا أن الميدان بالتحديد أخذ بالاضمحلال التدريجي حتى يمكن القول أنه مفقود الآن من العديد من مراكز المدن الإسلامية ومساجدها الجامعة.

2.1. الدراسة الثانية: بعنوان أثر التصميم العمراني على تفعيل دور المساجد في قطاع غزة باستخدام نظام المعلومات الجغرافية (GIS): وهي دراسة لزياد محمد شحادة قدمت استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الهندسة المعمارية، بالجامعة الإسلامية - غزة - عمادة الدراسات العليا، كلية الهندسة المعمارية سنة 2010 (شحادة، 2010).

يهدف البحث إلى إبراز دور المسجد في تشكيل النسيج العمراني والاجتماعي، وتصويب بوصلة تصميم وتخطيط المساجد من أجل إكسابها أهمية في نفوس الأفراد، وزيادة التواصلية المجتمعية بينهم وبين أفراد المجتمع من خلال توزيع منظم للمساجد.

وتنبع أهمية البحث من خلال تناوله لموضوع ديني هام يمس واقع المسلمين اليومي، ألا وهو المسجد من خلال إعادة تفعيل دوره ليعود كما كان نقطة إشعاع حضاري للعالم.

خلص في الأخير إلى مايلي:

- الشريعة الإسلامية لم تتطرق إلى شكل المسجد أو طابعه المعماري أو طريقة بنائه أو المواد المستخدمة، لكن المسلمين استوعبوا وظائفه وأهدافه وسخروها لإنشاء مساجد حديثة ومعاصرة.

- تخطيط المدينة الإسلامية قائم على أساس ثابت، حيث يتوسط المسجد مركز المدينة، وبجواره دار الحكم، ومن حوله الأسواق والخدمات العامة، ومن ثم خطط القبائل التي كانت تمتد وتتوسع إلى الخارج وحول المسجد.
- هناك العديد من العوامل التي أثرت على تخطيط المدينة الإسلامية، كان أبرزها الوضع الجغرافي والبيئي والدين والعادات والتقاليد والظروف السياسية والحالة الاقتصادية والنواحي الإنشائية ووسائل النقل.
- لا يوجد مرجع تفصيلي يحدد المعايير التخطيطية والتصميمية الشرعية التي يجب على المهندسين والمصممين إتباعها عند تصميم المساجد، وهذا ما يوقعهم أحيانا في المخالفات الشرعية كاستخدام الزخارف وأشكال المساقط الغربية وقصر الصف الأول وغيره.
- يمكن تطبيق فكرة المسجد الجامع لكل مجاورة سكنية، واسترجاع هذا الدور المفقود، بحيث تغلق جميع المساجد المحلية والمصليات، ويتجمع الناس في مكان واحد، وهذا له دوره الفاعل في تقوية العلاقات الاجتماعية بين الناس.
- لقد حظيت المساجد باهتمام خاص من قبل الباحثين من المسلمين وغيرهم، لكن هذه الدراسات تركزت على اتجاهات معينة، إما الاتجاه التاريخي الوصفي، أو دراسات شرعية تتحدث عن خلاف العلماء واجتهادات الفقهاء، أو دراسات تصميمية تتعامل مع المسجد كمبنى جامد دون ربطه بالبيئة العمرانية، أو التركيز على دور المؤسسات القانونية والإدارية، وغير ذلك من الدراسات المتخصصة في جانب معين دون غيره.

2. للتأسيس المفاهيمي للفضاء العمراني للمسجد:

بالنسبة لهذا الموضوع الذي يتناول الجانب العمراني للمسجد وتأثيره على الفرد، فسيتم التطرق إلى بعض المفاهيم الأساسية التي يمكنها أن تخدم هذه الدراسة وتتمثل فيما يلي:

1.2. الفضاء العام (Public Space):

نستخدم هذا المفهوم "فضاء" كترجمة لكلمة Espace من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، حيث أن أغلب القواميس العربية تشير إلى أن المعنى اللغوي للمفهوم يقابله في اللغة

العربية "فضاء"، حيث نجد أن استعماله بهذه الصيغة أكثر دلالة وشمولية، نظراً لأنه يدل على الطابع المادي والفيزيقي.

مصطلح الفضاء يعني عند العرب الخواء والفراغ وأيضا يشمل الخلاء المكاني، والبعض يترجمه بالحيز، وتشمل معطيات المكان النتوء والوزن والحجم والتشكل وهو الشيء المبني في فضاء مكاني، فالفضاء بمثابة الامتداد المتصور الذي يمكن أن يدرس من خلال وجهة نظر هندسية، والمكان عند العرب هو الموضع وتعني التوسع المكاني وتطلق على المنازل ونحوها وتعني أيضا الاستقرار والثبات في مكان ما وجمعها أمكنة، وعليه يكون الفضاء المكان أو الموضع الذي يعيش عليه الإنسان على سطح الأرض ويشمل سكنه وعمله وجل نشاطاته وممارساته اليومية المختلفة وعلاقاته الإنسانية (برواق، 2011 / 2012، ص.18).

كما يستخدم مصطلح "عام" في العديد من التعبيرات بعضها قريب جداً من مسألة التمييز بين الفضاءات العامة والخاصة، والتي لا تشير بالضرورة إلى تعريف للملكية الأرض، ولكنها تعني استخداماً عاماً للفضاء "الملكية الخاصة بالمجتمع"، كما يرتبط المصطلح المرتبطة بالمدينة فيحيل إلى الأماكن العامة المفتوحة للجمهور- أو قانون عام، السلطات العامة، الخدمات العامة، الخدمة المدنية، المواصلات العامة (Hofstetter, 2004, p. 20).

للفضاء العام بنيتين: الأولى معنوية تشتمل على مجموعة من القيم، والثانية مادية تشتمل على مجموعة من المؤسسات والأطر المكانية التي تكون بمثابة ساحة لممارسة تلك القيم (الببومي، 2010، ص.ص. 149 - 150).

أما الانتروبولوجيون فيرونه مجالا للمعايشة الاجتماعية، تتيح للفرد تطوير شبكة علاقاته الاجتماعية من خلال الاحتكاك والتفاعل والالتقاء مع الآخرين (Rolin, 2001, p. 69).

إذن الفضاء العام هو المكان الذي يدور فيه الصراع الاجتماعي، من أجل اكتساب وسائل البقاء من جهة، ومن جهة أخرى تنمية حظوظ الحصول عليها، إنه المكان المفضل للسيطرة والعنف الرمزي واللامساواة، حيث فيه يجتمع ويتحد الرأسمال الاجتماعي والرأسمال المادي (دريس، 2007، ص.53).

وقد تم اختيار مفهوم الفضاء العام في هذه الدراسة لأنه البنية التحتية، والمعياري للأداء الوظيفي الفعال في المجتمع، على أساس أنه مكان لتلاق الأفراد، وفيه تقام الممارسات والنشاطات المختلفة.

2.2. المؤسسة الدينية (Religious Institution):

المؤسسة الدينية هي وحدة أو تركيبة أو بناء داخل النسيج الاجتماعي ككل تلعب دورا حيويا وهادفا، وهذا الدور قد تؤديه المؤسسة في إطار رسمي مهيكّل القواعد والقوانين مما يجعل من الأفراد الذين ينتمون إليها يلتزمون حدود المسؤوليات والوظائف، والمهام المخولة لهم وممارستها بشكل طبيعي. (الهادي، 2006، ص.128).

3.2. التغير الاجتماعي (Social Change):

هو كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، ويشمل ذلك كل تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي أو نظمه الاجتماعي أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكانهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها (حجيلة، 2010، ص.3 - 4)، والتغير الاجتماعي هو توفر الإرادة الفاعلة والهدف المقصود من الفاعلين، فهو يقوم على الجهود البشرية التي يبذلها الفرد والجماعة بوعي أو إرادة بعد الشعور بوجود خلل أو خطر أو عدم انسجام بين ما يحملونه من قناعات أو تصورات وبين ما يحدث في واقعهم الاجتماعي (زعيني، النظرية العلم اجتماعية: رؤية إسلامية، 1997، ص.380).

4.2. الحي:

يعرّف الحي من وجهة نظر سوسيولوجية بأنه مجموعة الأماكن السكنية التي يمنحها سكانه خصائص الارتباط الاجتماعي والمصلحة المشتركة، ويؤثر فيه بعضهم على بعض، وهو أيضا المكان الذي يشعر فيه هؤلاء السكان بالانتماء إلى المجتمع الذي يعيشون فيه (سعدان، 2006، ص.90).

3. وظائف المسجد:

إن للمسجد دور كبير في نهضة المجتمع، وهذا من خلال الوظائف التي يؤديها، فهو مؤسسة دينية اجتماعية، تربوية ثقافية واقتصادية، فالدارس لتاريخ المساجد في الإسلام يقر بالدور الأساسي التي كانت تلعبه في حياة الأمم والأفراد (القرضاوي، 1996، ص.88). ومنه فإن أهم الوظائف التي يؤديها المسجد تكمن فيما يلي:

1.3. الوظيفة الروحية:

لأن في المسجد تقام مجموعة من العبادات كالصلاة والذكر وقراءة القرآن، وكل هذه العبادات لها عظيم الأثر على تقوية نفسية الإنسان المسلم، وعامل مهم من عوامل استقرار النفوس، كما أن الدروس والمواعظ والخطب التي يستمع إليها المسلم داخل المسجد تساعد على راحة النفس واطمئنانها، كما ينص القانون حسب المادة رقم 05 من الرسوم التنفيذية 13-377 التي تبين هذه الوظيفة: "يضطلع المسجد بوظيفة روحية تعبدية تتمثل في إقامة الصلاة، تلاوة القرآن الكريم، ذكر الله وتعظيم شعائره".

2.3. الوظيفة التربوية التعليمية:

في المسجد ينشأ المسلم ويتعلم النظام والتواضع والعطف والبر والالتزام بالواجبات والطاعة والامتثال وكل القيم الفاضلة (زعيني، 2006، ص.119)، ومن وظيفته كذلك نشر المعرفة والمحافظة على القرآن والتراث والثقافة الإسلامية، ولهذا نجد مثلاً مؤسس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر عبد الحميد ابن باديس الذي اتخذ من المسجد الخضر - بقسنطينة - مركزاً لنشاطه (مصطفى، 1998، ص.37).

وفي المسجد يتربى الفرد روحياً وإيمانياً وخلقياً واجتماعياً، وفيه تصقل شخصيته المتكاملة، وهذا بفضل الدروس والمواعظ والانخراط الاجتماعي (زعيني، 2006، ص.119).

3.3. الوظيفة الاجتماعية:

المسجد يساهم في تماسك العلاقات الاجتماعية، وهذا لأن في التقاء المسلمين داخله فرصة لتكوين علاقات مبنية على الأخوة وإذابة الفوارق الطبقية، كما أن من خلل وظائفه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تسود علاقات المحبة وتزول المفاصل التي تؤدي إلى هلاك المجتمع.

وتنص المادة 09 بأن للمسجد وظيفة اجتماعية تتمثل في:

- إصلاح ذات البين وتنمية الحس المدني وروح المواطنة والتكافل الاجتماعي.
- حماية المجتمع من الآفات الاجتماعية.
- المساهمة في الحملات الاجتماعية الوطنية منها والمحلية.
- حملات التوعية الصحية بالتنسيق مع المصالح المختصة وحماية البيئة.
- العمل على تنمية الزكاة والحركة الوقفية (زعيني، 2006، ص.5).

4.3. الوظيفة الاقتصادية:

وهذا بتوجيه المسلمين إلى الأعمال النافعة، وبيان أن العمل عبادة سواء كان العمل في التجارة أو الفلاحة أو الصناعة، كما أن في المسجد يتم جمع الزكاة والتبرعات والتي يتم توزيعها على مستحقيها (الويحي، 2010، ص.106).

5.3. الوظيفة الثقافية:

تنص على هذه الوظيفة المادة رقم 07 والتي تتمثل من خلال ما يلي:

- تنظيم المحاضرات وملتقيات لنشر الثقافة الإسلامية وتعميمها.
- إحياء الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية.
- ترقية المكتبة المسجدية وتنظيمها وتيسير الاستفادة منها.
- تنظيم معارض للكتاب والفنون الإسلامية.
- تنظيم مسابقات ثقافية.

6.3. الوظيفة التوجيهية والإصلاحية:

تنص على هذه الوظيفة المادة 08 من المرسوم التنفيذي رقم 13-377 يسطع المسجد بوظيفة توجيهية عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال المساهمة على الخصوص في:

- تعزيز الوحدة الدينية والوطنية عن طريق دروس الوعظ والإرشاد.
- حماية المجتمع من أفكار التطرف والتعصب والغلو.
- ترسيخ قيم التسامح والتضامن في المجتمع وتثبيتها.
- مناهضة العنف والكراهية.
- صد كل ما يسيء إلى الوطن.

7.3. الدور الإعلامي للمسجد:

كان المسجد يقوم بدور الإعلام، حيث كان السلاطين والملوك والأمراء كلما أصدروا مرسوماً من المراسيم الاقتصادية أو الاجتماعية نقشوه على حجر من الرخام ووضع بصدر المسجد من

الداخل أو الخارج حيث يراه كل الداخلين إليه، وقد اختير المسجد مكاناً للإعلام والإعلان حيث إنه مكان اجتماع الناس للصلاة الجامعة والجماعة، وهذه المراسيم كانت تعالج بعض أوجه القصور الموجودة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية وغيرها (شحادة، 2010، ص.23).

4. أهمية المسجد ودوره في حياة الفرد والمجتمع:

1.4. أهمية المسجد في حياة الفرد:

- تربية الفرد تربية روحية وأخلاقية: وذلك عند دخول الفرد إلى المسجد سيشعر بالخشوع والطمأنينة فذلك سيربيه تربية روحية لا يشعرها الأفراد الذين لا يدخلون المساجد، أمّا أخلاقياً فإنه عند دخول الفرد المسلم إلى المسجد سيتجرد مما يملكه في حياته بل سيكون بين يدي الخالق.
- تربية الفرد على التزام واحترام المواعيد: فإن الفرد إذا التزم بإقامته لصلواته الخمسة في المسجد ذلك جعله ملتزماً في أمور حياته الأخرى.
- تربية الفرد على النظافة والطهارة: فيستحب أن يكون الفرد متعظراً، ورائحة فمه زكية، وثيابه نظيفة، ممّا لها من آثار إيجابية على صحة الفرد نفسه، وصحة المجتمع بأكمله.

2.4. أهمية المسجد في حياة المجتمع:

يمكن الحديث عن أهمية المسجد في حياة الأفراد داخل المجتمع، وإيجازها فيما يلي (نبيل، 2021):

- تربية المجتمع على أساس الوحدة وعدم التفريق بينهم: فالمسجد يجعل أفراد المجتمع كلهم سواسية لا يتعدى فرد على حق فرد آخر، وهذا ما يسمى الآن بحقوق الإنسان.
- تربية المجتمع على الشورى: فالمسجد مكان للتشاور في الأمور الدينية وإعطاء الرأي الأصح، فذلك يجعل المجتمع متشاوراً ومتقارباً في ما بين أفرادهم.
- القضاء على الفقر: ففي المسجد سيتعرف الغني على الفقير ويقدم له المساعدة المادية، أو عن طريق صناديق الزكاة الموجود في المساجد الذي يذهب ماله لفقراء المجتمع.
- نشر المعرفة والعلم بين أفراد المجتمع: فالمسجد منبر لطرح المواضيع العلمية الحياتية بجانب المواضيع الدينية، فينتج مجتمع متعلم ومثقف.

5. التغيرات الاجتماعية والثقافية والممارسات الدينية التي أحدثها المساجد:

1.5. التغيرات الاجتماعية:

يلعب حسن اختيار موقع تواجد المسجد في الأحياء والمناطق السكنية بدورا فعلا قد يغير العديد من الجوانب بفضل الإمام والمسيرين في المسجد، كما قد يسهم المسجد أيضا في المبادرات الخيرية، وبفضله تتم جمع المساعدات المالية للفقراء والمحتاجين وقد تبين أن اغلب الأفراد يرون أن للمسجد دور مهم في التغيرات الاجتماعية بوصفها تنظيما اجتماعيا، يؤدي مجموعة من الأدوار ذات العلاقة المباشرة بالفرد من خلال التضامن والتكافل الاجتماعي، كما يرى البعض الأخر وهم فئة قليلة بان المسجد لا دور له، وقد أرجع سبب ذلك إلى عدم استقلالية مؤسسة المسجد ما انعكس سلبا على أدائها وثقة بعض الأفراد فيها.

2.5. التغيرات الثقافية:

المسجد ليس مكان للعبادة فحسب، بل إلى جانب ذلك له دورا بالغ الأهمية في التنشئة الثقافية، والفكرية، والعلمية، والتقدم المعرفي، إضافة إلى كونه مصدر إشعاع تربوي واجتماعي. وهذا الدور للمسجد يتعاوض مع دور الأسرة والمدرسة والمؤسسات الأخرى، فهو يساهم في تنشئة الأطفال وتعليمهم، ومحاربة الانحراف الديني والخلقي والسياسي والتربوي وغيرها من الانحرافات في أوساط الحي بفضل خروج الإمام إلى الحي وائتلافه مع السكان وخاصة فئة الشباب، إضافة إلى ذلك يتم في هذا المسجد إلقاء دروس في الوعظ والإرشاد والتي يعرف فيها الفرد وظيفته في المجتمع ودوره في الحياة، وعلاقته بالأسرة والجيران والأصحاب وحرصه على الانضباط الاجتماعي واهتمامه بالنظافة وتعوده على النظام، كل ذلك من خلال ما يسمعه ويراها من كلام المتحدثين في الخطب والمواعظ والدروس العلمية، في المواسم والمناسبات اليومية والأسبوعية وغيرها.

3.5. التغيرات والممارسات الدينية:

يتقيد الأفراد في المسجد ببعض الطقوس الدينية كتلاوة القرآن الكريم قبل الصلاة أو بعد الصلاة في شكل حلق جماعية في بعض المساجد وذلك حسب اختلاف مناطق الجزائر، كما يواظب المصلين على حضور دروس الوعظ والذكر، ويعمل القائمون على بعض المساجد بشكل دائم على تعليم وتلقين القرآن الكريم للأطفال في أوقات معينة، مما يجعل منها طقوسا تساهم بشكل أو بآخر في إحداث التغيير المنشود.

كما تظهر مساهمة المسجد في التغير الثقافي ويدل هذا على وعي القائمين على مؤسسة المسجد بالمهمة الأساسية لها، وهي قيادة المجتمع لاكتسابهم ثقافات جديدة انطلاقاً من التغير النفسي القائم على التربية والوعظ والإرشاد والتعليم والتثقيف سواء فئة الشباب أو الأطفال، أو رجال ونساء، مما يجعل أفراد المجتمع ملتزمين بمبادئ توافق مبادئ دينهم، فالمسجد منبر لطرح المواضيع العلمية الحياتية بجانب المواضيع الدينية، فينتج مجتمع متعلم ومثقف.

6. التنمية الاقتصادية والمحيط العمراني للمسجد:

إن المسجد لما فيه من إسهام واسع على التفاعل والتواصل، حيث يكسب الفرد من خلاله المهارات والخبرات التي تزيد من كشف المواهب والقدرات، إضافة إلى إسهامه في توظيف الطاقة البشرية والبناء والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وإلى جانب ذلك حده للجريمة والفقر والفساد الأخلاقي، بحيث يعد وسيلة اتصال بأفراد المجتمع وذلك من خلال توعية المواطنين على أهمية العمل والحرف الصغيرة، والصناعات اليدوية، والتجارة ودورها في التنمية الاقتصادية.

وعلى هذا النمط من التعاملات يحث المجتمع على مكافحة التعاملات الربوية ومحاربة الغش والاحتكار والفساد في التعاملات التجارية والإدارية، ويظهر ذلك من خلال الدروس اليومية والخطب الأسبوعية.

كما يظهر دور المسجد من خلال المواسم والأعياد، ويتجلى ذلك في شهر رمضان (قفة رمضان)، وعيد الأضحى، أيضاً جمع أموال الزكاة وتوزيعها على المحتجين. أيضاً بفضل صحبة الإمام لسكان الحي وأصحاب المحلات التجارية تغير أسلوب المعاملات، كإقلاع التجار الذين هم بالقرب من المساجد عن بيع السجائر ذلك بفضل الإمام.

7. دور المسجد في استقطابه للأفراد من كلا الجنسين:

بالنسبة لمشاركة المرأة في تفعيل دور المسجد داخل مجتمع النساء في الحي مثلاً مشاركتهن في حلق القرآن المخصصة للنساء والدروس العلمية وتعليم كبار السن القرآن وتعاليمه لأن المرأة تشارك الرجل في هذا المجال مع بعض التحفظات، فلو فتح لها المجال وشجعت وحفزت سيؤثر على نشاطها وحيويتها الإبداعية نظراً لدور المرأة فهي عماد الأسرة والأكثر تجاوباً وحرصاً، ولوترك لها المجال لتفعيل دورها الدعوي والاجتماعي من خلال دعوة بني جنسها من خلال المسجد وتفاعلها مع هذا المنطلق لتكون عنصراً فعالاً لإحياء دور الإمام والمسجد داخل الحي.

استقطاب المسجد للعنصر النسوي وتفشي هذه الظاهرة بالمساجد الجزائرية خاصة في الآونة الأخيرة، لكن تأثير الموقع على استعمال المرأة لفضاء المسجد بحكم تموقع المساجد في منطقة تحتوي على نشاطات تجارية فان دور المسجد في توعية المرأة دينيا من خلال النشاطات المخصصة يبقى محدودا عند البعض منهن نتيجة لصعوبة الوصول إلى هذا الفضاء، وذلك نتيجة لمحددات سوسيوقافية التي تحكم ممارسات المرأة وتعاملاتها في المجتمع البشري.

إلى جانب ذلك، يمكن الإشارة إلى النقاط التالية:

- ظهرت ثقافات وتغيرات جديدة من خلال تموقع المسجد في هذا الفضاء مما أدى إلى ظهور أنماط ممارساتية جديدة لدى الأفراد مرتبطة بالأدوار والوظائف التي يؤديها المسجد في المجتمع.
- عرف محيط المسجد تنوع في الأنشطة الاقتصادية والتجارية تبعا لافتتاحه مما يجعله عاملا جذب واستقطاب لمختلف فئات المجتمع، يشكل تموقع المسجد الجيد أساسا لذلك.
- تنوع الممارسات والأنشطة داخل الفضاء الديني ساهم في استقطاب الأفراد من كلا الجنسين ومن مختلف الأعمار، وبالتالي فهو يشكل عاملا من عوامل تحضر المنطقة ومسهلا لاندماج الأفراد داخل فضاء الحي.

خاتمة:

يعتبر المسجد مؤسسة دينية رسمية تمتاز بطبيعة اجتماعية خاصة، حيث تتخذ لنفسها مجموعة من العادات والأعراف والتقاليد الدينية، ومؤسسة المسجد تتشكل بدورها وفق عناصر بشرية ومادية تكوينية تضمن هيكلتها، فالمستوى البشري يضم الأئمة والواعظين والمدرسين والعمال والقاعدة المستقبلية من المصلين، أما المستوى المادي فيحتوي البنية بكل جزئياتها المعمارية البسيطة والمعقدة، التراثية والمعاصرة، وتتفاعل في المستوى التكويني للعلاقات الاجتماعية بين المصلين، والأهداف الروحية والاجتماعية والنفسية، والمركز والأدوار التي يأخذها كل فرد داخل نسق المهام المحددة مسبقا أو ضمنيا، ويقع بين ذلك الإمام في محور كل هذه العمليات، إضافة إلى المنهج والنظام والسمات والسلطة التي تتداخل فيما بينها لإعطاء الطابع العام لحركة المؤسسة وتميزها.

وقد حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على هذه المؤسسة الدينية، وعن تأثير جانها العمراني وتموقعها على الفرد. ومما سبق بيانه في العناصر السابقة التي تناولت هذا الموضوع بالتحليل، يمكن الخروج بمجموعة من الاستنتاجات التالية:

- كما إن المسجد كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية يساهم بأدواره ووظائفه في سيرورة التحضر والتغير الاجتماعي، فهو ذو دور فعال في بناء المجتمع في شتى المجالات الدينية الاجتماعية، الثقافية، السياسية والاقتصادية، حيث يشكل تموقع المسجد العنصر الرئيسي لضمان فعالية هذا الفضاء.
- إن التغيرات الاجتماعية والثقافية التي مر بها المجتمع الجزائري أدت إلى تطور لوظائف المسجد بما يحقق التكافل والتكامل الاجتماعيين، مما يعبر عن عمق ترسخ مكانته في المخيال الشعبي الذي حفظ له دوره رغم التطورات التكنولوجية وغزو الثقافات الغربية التي أرست أنظمة حديثة وعصرية للتكافل الاجتماعي.
- عرف تصميم المسجد تطورات تعكس تطور وظائفه في ظل التغيرات الاجتماعية والثقافية التي يعرفها المجتمع الجزائري.
- الإقبال على المؤسسة الدينية من طرف الجنسين ومن مختلف الفئات العمرية لأداء العبادات والتعليم القرآني أو التعليم في إطار محو الأمية، وهذا ما يشكل عامل جذب واستقطاب لأفراد المجتمع نحو هذه المؤسسة للقيام بالنشاطات التي توفرها.
- يعكس تفاعل الأفراد مع هذه المؤسسة الاجتماعية ازدواجية الفكر والأنظمة لدى الجزائري بين التقليدي والحداثي، فالمسجد مؤطر رسمياً بقوانين منظمة له من جهة، وما يفرضه الدين والعرف والتقاليد من جهة أخرى.
- إن مكانة المسجد كمؤسسة دينية اجتماعية تلعب أدواراً هامة في استقرار المجتمع وبقائه من جهة، وتوجيه الأفراد والجماعات ليكونوا أعضاء فاعلين من جهة أخرى، وذلك من خلال تأسيس نسق من القيم والقناعات لدى الفرد المسلم في ما يتعلق بعالمه ودوره الاجتماعي.
- لا يزال المسجد يحتل المكانة الرئيسية في تكوين ونمو الأحياء والمدن الجزائرية وبالتالي تطورها العمراني وامتدادها الجغرافي وتطور الأنشطة الاقتصادية والتجارية فيها.

وفي الأخير يمكن القول أن المسجد يعتبر إحدى المؤسسات التربوية، الاجتماعية والثقافية، والاقتصادية تمس جميع جوانب المجتمع، ذات التأثير المباشر في حياة الأفراد وسلوكياتهم، حيث يظهر ذلك من خلال مكانته كمصدر للمعرفة، وغرس القيم في نفوس الأفراد وإعدادهم ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع، لما يتميز به من خصائص فريدة وإيجابية المعايير التي يعلمها للأفراد، وكذا إثباتها والعمل على تدعيمها، فرسالتها شاملة تتجاوز الدور الديني في المحافظة على القيم الأصلية، وتمثل تعاليمه في مختلف شؤون الحياة، إلى الأدوار الاجتماعية الثقافية والتربوية، فبتأثيراته المختلفة على أفراد المجتمع يمكن أن يكون وسيلة من وسائل التنمية البشرية بكل أشكالها.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول أن المسجد يساهم بشكل فعال في التغيير الاجتماعي وفي جميع جوانب المجتمع الاجتماعية، الثقافية، السياسية والاقتصادية.

التوصيات:

- إيجاد طابع مميز لمساجد يميزها عن غيرها بما يتناسب مع القوانين والتشريعات وبما يراعي المتطلبات البيئية والمناخية والظروف السائدة في المنطقة.
- ضرورة مراعاة متطلبات المجتمع وإشراك أفرادها في العملية التصميمية، وهذا يؤدي إلى نتائج إيجابية، ويقلل من التغيرات غير مرغوب بها والتي تؤثر على رسالة المسجد.
- مراعاة بعض الاعتبارات التخطيطية التي تعمل على رفع شأن المسجد وتقويته في نفوس الأفراد، كالاهتمام باختيار موقع المسجد وعلاقته مع البيئة المحيطة والخدمات العامة، والاهتمام بالممرات والمحاور البصرية، ومواقف السيارات والساحات المفتوحة وغيرها.
- ضرورة الاهتمام بعناصر المسجد والمحافظة عليها، وعدم التغيير العشوائي فيها، لما تسببه من تغيير للفكرة التي وجدت لأجلها.
- ضرورة تعزيز مضمون الخطاب المسجدي بما يتماشى والقيم الإسلامية التي تدعو إلى التسامح والاعتدال.
- العمل على تلقين قيم التضامن والتآزر بين أفراد المجتمع من خلال الاتجاه نحو خطاب يحث المصلين على تجسيد التعاون والتضامن في واقع الناس دون كلل أو ملل.
-

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم البيومي. (2010). أصول المجال العام وتحولاته في الاجتماع السياسي الإسلامي. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية (15).
2. آمال برواق. (2011 / 2012). سيميولوجيا الفضاء ودلالة التمثلات المعمارية، دراسة تحليلية سيميولوجية لحى العربي بن مهيدي بقسنطينة. مذكرة ماجستير غير منشورة. الجرائر، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجرائر.
3. بوحاجب رشيد. (2015 / 2016). البعد العمراني للمسجد وتأثيره على الفرد - دراسة ميدانية لمسجد عائشة أم المؤمنين بعي أبو تشفين- تلمسان-. مذكرة ماستر غير منشورة. تلمسان، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر.
4. تومي إسماعيل. (2016). الخصائص العمرانية للمسجد في تشكيل النسيج العمراني. مجلة الإعجاز (37).
5. رابح سعدان. (2006). الحياة الاجتماعية في الفضاءات العمرانية الجديدة. مذكرة ماجستير غير منشورة. عنابة، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، الجزائر.
6. رحالي حجيلة. (2010). التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري. (جامعة محمد خيضر بسكرة، المحرر) مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية (7).
7. سمية نبيل. (16 11 2021). دور المسجد في حياة الفرد والمجتمع. تم الاسترداد من موقع مفرس: <https://cutt.us/uUjW9>
8. سمير الويفي. (2010). دور المؤسسة الدينية الرسمية في التغيير الاجتماعي. مذكرة ماجستير غير منشورة. باتنة، جامعة باتنة، الجزائر.
9. شحادة. ز. م. (2010). أثر التصميم العمراني على تفعيل دور المساجد في قطاع غزة باستخدام نظام المعلومات الجغرافية GIS. مذكرة ماجستير غير منشورة. غزة، الجامعة الإسلامية، كلية الهندسة المعمارية، غزة.
10. محمد حيداتو مصطفى. (1998). عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية. سلسلة مجلة الأمة القطرية (57).
11. محمد دحمدان رمضان. (2013). دور المسجد في تحقيق الاندماج السياسي في المجتمع العراقي المعاصر: دراسة تحليلية من منظور اجتماعي. مجلة كلية العلوم الإسلامية (13).
12. مراد زعبي. (1997). النظرية العلم اجتماعية: رؤية إسلامية. رسالة دكتوراه غير منشورة. قسنطينة، جامعة قسنطينة، الجزائر، الجزائر.
13. مراد زعبي. (2006). مؤسسة التنشئة الاجتماعية. جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.
14. نوري دريس. (2007). استعمال المجال العام في المدينة الجزائرية. مذكرة ماجستير غير منشورة. قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، الجزائر.
15. الهادي. ا. ع. (2006). قاموس علم الاجتماع. (5 ed.) الإسكندرية، مصر: المكتب الجامعي الحديث.
16. يوسف القرضاوي. (1996). العبادة في الإسلام (الإصدار 3). القاهرة: دار الشروق.
17. يونس بوربان. (18 05 2018). العين الإخبارية. تاريخ الاسترداد 23 10 2021، من "الجامع الكبير" بالجزائر.. شاهد منذ 7 قرون على عصر المرابطين: <https://al-ain.com/article/great-masjid-algiers-algeria>
18. Biddle, B., & Thomas, E. (1966). role theory, concepts and research. New York .London, Sydney: Willy and soon, .
19. Hofstetter, M. (2004). espace(s) public(s), une esquisse, travail de mémoire en études urbaines, DESS en développement urbain, gestion des ressources et gouvernance. lausanne: faculté des géosciences et de l'environnement, université de lausanne.

20. Mohamed, A., & Abed, G. E. (2011). Urban space and the urban value of Jamea Mosque in Islamic City. acadimia, 19 (01).
21. Rolin, A. (2001). Anthropologie urbaine. paris: Ed Armand colin.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال وفق نظام توثيق الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA الإصدار السابع (7):
أحمد مسعودي، حسام الدين شعلان. (2022). الفضاء الديني وتأثيره على الفرد: مقاربة سوسيولوجية للبعد
العمراني للمسجد في الجزائر. مجلة /آفاق فكرية، سيدي بلعباس (الجزائر)، 10 (1)، ص ص 561-577 ؛ رابط
المجلة

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/396>